البِنيَةُ التَّركيبيَّةُ لأُسلوبِ الاستِفهَامِ في ضَـوْءِ النَّحوِ الوَظِيفِيّ دِرَاسَةٌ تَطبيقِيَّةٌ فِي سُورةِ الكَهْفِ

The Synthetic Structure of the Interrogative Style in the light of functional grammar: An applied study in Surat Al-Kahf

راشد بلال أحمد الزيودي
Rashed Bilal Ahmad Al-Zyoudi

10.15849/ZJJHSS.230330.07

المُلخَّصُ

حَرِصَ هذا البحثُ استقراءَ الأُسُس الخاصّة بنظريَّة النَّحو الوظيفيّ وفق رؤية أحمد المتوكِّل، وبيان آليات تحليل الأشكال التركيبيّة في جمل الاستفهام الواردة في سورة الكهف في ضوء (الجهاز الواصف)، وتوزيع أنماط الجمل وظيفيًّا وفق البنى الحمليَّة ونوع المحمول فيها والمخصَّصات المُوزَّعة عليها. واتّبع الباحثُ المنهج الوصفيّ التحليليّ في تفصيل عناصر هذه الوظائف ووصفها، وتطبيقها على تراكيب أسلوب الاستفهام الواردة في السُّورة الكريمة.

وتَوصَّل البحثُ إلى جملة من النَّتائج، كان أهمُّها أنَّ الوظيفيَّة أسهمت في ربط البنية اللُّغويَّة بوظيفتها التَّواصليَّة، وأنَّ تراكيب الاستفهام تميّزت جُمَلُها بالعناصر الدَّاخِلَةِ عليها، إذْ كانت لها القوَّة الإنجازيّة في أداء الوظيفة. وأسهمت أداة الاستفهام في تحقيق المخصَّصات التي تربط أواصر المركبّات والعناصر في الجملة. أمَّا الجمل الرابطيَّة الّتي جاءت فيها الآيات الكريمة فتدُلُّ على أنَّ الربط فيها موقعيّ، تبعًا لطبيعة العنصر المُتَصدِّر في التَّراكيب.

الكلمات المفتاحيّة: النَّحو الوظيفيّ، سورة الكهف، الجهاز الواصف، الاستفهام، أحمد المتوكِّل.

Abstract

This research was keen to extrapolate the foundations of the theory of functional grammar according to Ahmed Al-Mutawakil's vision, and to explain the mechanisms of analyzing synthetic forms in the interrogative sentences contained in Surat Al-Kahf in the light of (the descriptive device), and to distribute the patterns of sentences functionally according to the predicate structures, the type of predicate in them, and the allocations distributed to them. The researcher followed the descriptive analytical approach in detailing and describing the elements of these functions, and applying it to the structures of the interrogative method mentioned in the Noble Surah.

The research reached a number of results, the most important of which were: that functionalism contributed to linking the linguistic structure with its communicative function, and that interrogative structures were distinguished by the elements included in them, as they had the performing force in performing the function. The interrogative tool contributed to the realization of the provisions that link the bonds of compounds and elements in the sentence. As for the linking sentences in which the noble verses came, they indicate that the linking is my position, depending on the nature of the leading element in the structures.

Keywords: Functionalism, Surat Al-Kahf, the descriptive device, the predicate structures, the interrogative, Ahmed Al-Mutawakkil.

[1] وزارة التربية والتعليم الأردنية، طالب دكتوراه، الجامعة الهاشمية، كلية الآداب، اللغة العربية وآدابها ،علم اللغة والنحو
*** للمراسلة: Rashed90.zyoud@gmail.com**

تاريخ استلام البحث: 2022/12/14
تاريخ قبول البحث: 2023/03/16

[1] Ministry of education- Jordan-PhD student, The Hashemite University, Faculty of Arts, Arabic language and literature, Linguistics and grammar
*** Corresponding author: Rashed90.zyoud@gmail.com**

Received: 14/12/2022
Accepted: 16/03/2023

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار / جامعة الزيتونة الأردنية 2023

المقدّمةُ

– أهداف الدراسة وأهميتها

تَهدِفُ هذه الدراسـةُ إلى الوقوف على الموروث اللغوي العربي ومدى ارتباطه بالدراسـات اللسـانية الحديثة، لبيان جانبها الوظيفي، بغية التعرف إلى آليات التطبيق التحليلي للنصـوص في ضـوء النحو الوظيفي؛ بالتركيز على العلاقة الكامنة بين البنية والوظيفة في القرآن الكريم. وتنظرُ إلى تفعيل النحو الوظيفي الحديث بما يتطلبه اتخاذ التراث اللغوي العربي مرجعا عند البرهنة والتحليل. وتعدُّ تطبيقا لتحليل أنماط تركيبيّة لأسلوب إنشائي تدخل عليه المكونات الإسـنادية الفعلية والاسـمية، وهي من الدراسـات التي تسـهم في الحقل اللغويّ والدراسـات النحويّة للقرآن الكريم؛ للكشف عن قيمة أسلوب الاستفهام وأهميته في ضوء تحليل النحو الوظيفي للجمل والتراكيب.

– منهج الدراسة

اعتمد الباحثُ المنهج الوصفي لرصد الحقائق وتحديد الطرق والعوامل، والتحليلي الذي يعدُّ عملية عقلية لقراءة المركبات وعناصرها وتفكيك البيانات، وكشف الدلالات التي يُمكن إدراكها بعد هذا التفكيك إدراكا مفهوما واضحا؛ وذلك بالنظر في تعالق المُركّبات المكونة للسياق، وتحديدا في أسلوب الاستفهام في ضوء نظرية النحو الوظيفي.

أمَّا المعيارُ العمادُ فكان نظرية أحمدَ المتوكّلَ[1] أنموذجا في تصـنيف الجملة وتحليلها الذي اعتمدَتْهُ نظرية النحو الوظيفي؛ إذْ صـنَّف أحمد المتوكل الجملة العربية بالنظر إلى محمولها في اسـتقراء البناء التركيبي[2]. فإذا كان المحمول فعلا فالجملة فعلية، وإن كان المحمول غير فعل فالجملة اسـمية. وهو تصـنيف قائم على فكرة الإسناد. ومن ثمّ النظر في الجملة من حيث الزمنُ والإثبات والنفي، والبساطةُ والتركيبُ. إضافة إلى أن الوظيفيـة تعتمد على البنية الموقعية لكل جملة، وعلى الجهاز الواصـف بدءا بتصـنيف الجمل من حيث بنيتها على أسـاس الفعلية والاسمية، ثم التعرّض إلى الوظائف المختلفة لتلك البنيات التركيبية، الدلالية، التداولية.

وعطفا على ما تقدّم، فإنَّ الدراسـة ائتلفت من مبحثين: الأول تنظيري تأطيري، والثاني تطبيقيّ. جاء المبحث الأول بيانا لأسـس نظرية النحو الوظيفي، وتوضـيح آلية التحليل الوظيفي للتراكيب النحوية في ضـوء منهج أحمد المتوكل. أما المبحث الثاني فجاء تطبيقيا تحليليا لنماذج من أساليب الاستفهام التي حصرها الباحث وصنّفها في

---

[1] **أحمد المتوكل**: أكاديمي ولغوي مغربي (ولد في الرباط سنة 1944)، ودرس في ثانوية مولاي يوسف بالرباط حيث حصل على البكالوريا، ثم انتقل إلى الدراسة في كلية الآداب قسم اللغة الفرنسية وآدابها، حيث حصل على الإجازة في الأدب واللغة الفرنسيين، ثم حضر دكتوراه السلك الثالث في اللغويات، وكانت رسالته عن (أفعال الاتجاه في اللغة الفرنسية) في إطار مقاربة سيميائية، وبعد ذلك هيأ داخل القسم العربي شهادة في الأدب المقارن، ثم حضر دكتوراة الدولة في اللسانيات، وكان موضوع هذه الأطروحة (نظرية المعنى في الفكر اللغوي العربي القديم). عمل مدرّسا في كلية الآداب جامعة محمد الخامس بالرباط في القسمين الفرنسي والعربي، وكان يدرس التداوليات، ثم تخصص في تدريس النحو الوظيفي خاصة مدرسة امستردام التي كان أول روادها الأستاذ (Simon C. Dik). ودارت مؤلفاته على محورين اثنين: محور العلاقة بين الفكر اللغوي القديم والدرس اللغوي الحديث، والمحور الثاني وصف وتفسير ظواهر اللغة العربية من منظور نظرية النحو الوظيفي.

[2] يُنظر: المتوكل، أحمد: **الوظائف التداولية في اللغة العربية**، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الرباط، 1985، ص82. والمتوكل، أحمد، **قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص**، د.ط، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ص107–108.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

ســورة الكهف في ضـــوء نظرية النحو الوظيفي عند أحمد المتوكل؛ لبيانِ ما رافقها من تعالق مع مركبات نحوية أخرى، وللنظرِ في توزيعها ضــمن أنماط الجملة العربية في ضــوء الوظيفية، واســتقراء وظائفها التركيبية والدلالية والتداولية.

– مشكلة الدراسة

تتمثل إشــكالية هذه الدراســة في صــعوبة تحديد مرتكز نظرية النحو في تقســيمه للجملة، وبيان جديد هذه النظرية وتقسيماتها، وعدم توفر المراجع العربية المؤصّلة لنظريّة النّحو الوظيفي وخصـوصًـا كتب سـيمون ديك، إضافة إلى تشتّت القضايا التي عالجها المتوكّل في كتبه المختلفة.

– تساؤلات الدراسة

تحاول هذه الدّراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما الأسس التي قامت عليها نظرية الوظيفية التي جاء بها أحمد المتوكل؟
- ما الأشــكال التركيبيّة الداخلة على جمل الاســتفهام الواردة في ســورة الكهف في ضــوء توزيع أنماط الجمل وظيفيا وفق البنى الحملية ونوع المحمول فيها والمخصصات المُوزَّعة فيها؟
- ماذا نستنتجُ من تحليل البنى الحملية لجمل الاستفهـــام واستقرائها في آيات القرآن الكــريم – في سورة الكهف– وفق منهج الوظيفية (الجهاز الواصف) عند أحمد المتوكل؟

– الدراسات السابقة

من الدراسـات السـابقة التي وجدها الباحثُ: (الجملة في اللغة العربية، البنية والوظيفة، دراسـة في سـورة القمر أنموذجا)، (أطروحة دكتوراه)، للباحث رياض حرّاد، 2014، الجزائر. درس فيها الباحث الجمل الاســـمية والفعلية في ضوء نظرية النحو الوظيفي، إذْ جاء الفصل الأول لمعالجة مفهوم الجملة والكلام في الدرس اللساني والتراثي، والتأطير لنظرية النحو الوظيفي بدءا من النحو العام إلى الوظيفة. تبع ذلك الفصــــل الثاني الذي يدرسُ الجملة الفعلية في سـورة القمر بتقسـيماتها الوظيفية في ضـوء منهج أحمد المتوكل، والثالث كان تطبيقيا كذلك في الجملة الاسـمية. ومما تفترقُ به دراسـتنا عن الدراسـة السـابقة أن دراسـتنا تعالج أسـلوبا لغويا مع تنوع نوع الجملة الداخلة عليه، وبأنَّها تُحلّلُ الأنماط التوزيعية لأسلوب الاستفهام بتنوّع المحمولات الداخلة في تلك الجمل.

إضـافة لدراسـةٍ بعنوان: (النحو الوظيفي والدرس اللغوي العربي: دراسـة في نحو الجملة)، (أطروحة دكتوراه)، للباحث الزايدي بودرامة، 2014، الجزائر. قدّم فيها الباحث مقاربات بين نحو اللغة العربية الوظيفي والدرس اللغوي العربي القديم في موضوعات عدّة، منها: نظرية النحو الوظيفي تنظيرا ووصفا، بيان مفهوم التوجّه الوظيفي ومهامه ومبادئه، تأصــيل مفهوم الجملة في ضــوء النظرية، البنية الحملية، البنى الوظيفية والبنى المكونية، معالم الوظيفيـة في التراث اللغوي العربي نحوا وبلاغـة، نقاط الاتفاق والاختلاف بين الوظيفيـة والدرس اللغوي العربي القديم. ثم تَبِعَ ذلك الفصــــل التطبيقي الذي يبحث في الكفاية بين الوظيفية والدرس اللغوي العربي القديم. أمَّا نقاط الافتراق فتمثلت في أنَّ دراسـتنا تقتصـرُ على أسـلوب لغويّ واحد، وأنَّ دراسـتنا تحاول الكشـف عن الأنماط التي تأتلف منها جملة الاســتفهام في القرآن الكريم، وتحليل العناصـــر المكونة للجملة في ضـــوء هذه النظرية، وبيان

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

الوظائف النحوية التي يمكن لأسلوب الاستفهام القيام به في أداء المعنى بالتعاضد مع العناصر التركيبية الأخرى المكونة للجملة.

ولا ننسى أهمَّ الكتبِ[1] التي ناقشت قضية الجملة نظريا وتطبيقيا، وحاولت أن تُبيّن القوانين العامة التي تحكم بناءها، وأن ترصد اتجاهات البحث النحوي في هذه القضية. وقدَّمت بحوثٌ عدَّةٌ تصورات عن بناء الجملة في نصوص معينة، وجلُّ هذه البحوث رسائل علمية مطبوعة أو غير مطبوعة، لها علاقة مباشرة وغير مباشرة بالأصول التنظيرية للدرس النحوي العربي في ضوء نظرية النحو الوظيفي، فضلا عن الدروس التطبيقية التحليلية.

- **أولاً: نظرية النحو الوظيفيّ عند أحمد المُتوكل: الأسس، والمنهج.**

عرفتْ الدراساتُ اللسانية الغربية الحديثة عديدا من الاتجاهات التي تسعى إلى مقاربة اللغة، منها الاتجاه البنيوي، والاتجاه التحويلي التوليدي، والاتجاه الوظيفي. وتُعدُّ نظرية النحو الوظيفي التي جاء بها الهولندي (سيمون ديك) سنة 1978م من النظريات الحديثة المهمة؛ إذْ أرسى هذا اللغوي دعائم جديدة في الدراسات الوظيفية وأبحاثها. ثمّ تبنّى أحمد المتوكل هذه الأفكار محاولا بذلك التأسيسَ لنظريةٍ وظيفيةٍ عربية تدرس اللغة العربية، واستثمارها في بناء نظرية وظيفية مُثلى قوامها كثير من المبادئ التي تسهم في بيان الوظائف المتعددة.

ومن المفيد الإشارة إلى النظريات الوظيفية التي سبقت نظرية المتوكل؛ لأنها تعدُّ بمنزلة خلاصة لأهداف ومنطلقات هذه النظريات، ومن أبرزها[2]: "النسقية الوظيفية" و"الوجهة الوظيفية للجملة" و"التركيبات الوظيفية" و"الفرضية الإنجازية"، وآخرها "نظرية النحو الوظيفي" التي بدأت عند "سيمون ديك" ثمَّ تبنّاها المتوكل.

يقوم النحو الوظيفي على مبادئ أساسية تقوم عليها النظريات الوظيفية، نحو: أداتية اللغة، وظيفة اللغة والأداة، اللغة والاستعمال، سياق الاستعمال، اللغة والمستعمل، القدرة اللغوية، بنية اللغة، تطور اللغة، الكليات اللغوية، اكتساب اللغة[3]. ويمكن إجمال المبادئ السابقة في أربعة مبادئ أساسية[4]، هي: أنَّها أداة للتواصل*، ووظيفة تعبيرية وإقناعية**، وقدرة تواصلية***، وبنية اللغة****.

---

[1] من أهم تلك الدراسات والكتب: "**بناء الجملة العربية**" لمحمد حماسة، و"**الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية**" لمحمد عبادة، و"**الجملة النحوية نشأة وتطورا وإعرابا**" لفتحي الدجني، و"**مدخل إلى دراسة الجملة العربية**" لمحمد نحلة، و"**نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث**" لنهاد الموسى، و"**الجملة العربية والمعنى**" و"**الجملة العربية: تأليفها وأقسامها**" لفاضل السامرائي، و"**الجملة الاسمية**" و"**الجملة الفعلية**" و"**التراكيب الإسنادية**" لعلي أبو المكارم، و"**دراسات في اللسانيات العربية: (بنية الجملة العربية)**" لمصطفى السيد، ... وغيرها.

[2] المتوكل، أحمد: **المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي**. ط1، دار الأمان، الرباط، 2006، ص61-63.

[3] المليطان، محمد الحسين: **نظرية النحو الوظيفي: الأسس والنماذج والمفاهيم**. ط1، دار الأمان، الرباط، 2014، ص18-19.

[4] * **أداة التواصل**: ويقصد بها أنها مقاربة للغة تقوم على أساس التواصل داخل المجتمعات البشرية.

** **الوظيفية التعبيرية**: وهي وظيفة اللغة الأساس وتتفرع عنها القدرة على التعبير والإقناع وغيرها.

*** **القدرة التواصلية**: وهي القدرة التي يكتسبها مستعمل اللغة الطبيعية عامة، وتشمل كلّ المعارف اللغوية والخطابية التي تمكنه من إنتاج أيّ خطاب وفهمه وتحويله، إمّا ترجمة أو تفسيراً أو تأويلاً.

**** **بنية اللغة**: وهي تحكم الوظيفة عامة وبنية ما يمكن أن يُنتج داخلها من أنماط خطابية في التزامن أو التطور.

للمزيد حول بعض المفاهيم والمصطلحات، **يُنظر** المليطان، محمد الحسين: **نظرية النحو الوظيفي: الأسس والنماذج والمفاهيم**. ص19.

خَلُصَ المتوكل إلى مبادئ النحو الوظيفي التي تتمحور حول المنطلق المنهجي والموضـــوع والهدف، إذْ يقول: "المبادئ العامة التي تعتمدها نظرية النحو الوظيفي: مبادئ تتعلق بالمنطلق المنهجي، ومبادئ تهم موضوع الدرس، وأخرى تخص الهدف المروم تحقيقه"[1]. وتتفق النظرية الوظيفية عموما والنحو الوظيفي (الوظيفية المثلى) خاصــة في ثلاث وظائف أســاسـية، وهي: الوظائف التركيبية، الوظائف التداولية، الوظائف الدلالية. إذْ ارتبط مفهوم أحمد المتوكل للوظيفة بمفهومين، هما: الوظيفةُ علاقةً، والوظيفةُ دورًا. ويتمثل ذلك "حين يرد مصطلح الوظيفة دالا على العلاقة القائمة بين مكونين أو مكونات في المركب الاسمي أو الجملة"[2].

يتبين لنا مما ســبق أن الوظائف تُكوّن علاقات بين المكونات، ويُبْحَثُ عن وظيفة العلاقة التي يمكن أن تقوم داخل الجملة أو المركب، وهذه العلاقة قد تكون "دلالية كعلاقة (منفذ، مســتقبل...)، أو تركيبية كعلاقة (فاعل، مفعول)، أو تداولية كعلاقة (بؤرة، محور...)"[3]. ويقصد بالدور: "الغرض الذي تُسَخّرُ الكائنات البشريّة اللغات الطبيعية من أجل تحقيقه"[4]. وانطلاقا من رأي المتوكل نفهم أن الوظيفة عنده تنقسم إلى قسمين: الوظيفة التي تمتلكها اللغة، والوظيفة كعلاقة باعتبارها الرابط بين مكونات الجملة أو المركب، لأنَّ هناك نظريات تنطلق وظيفتها من الوظيفة التي تمتلكها اللغة، في حين هناك نظريات تنطلق وظيفتها من العلاقات التركيبية، والتداولية، والدلالية.

- **ثانيا: الدراسة التطبيقيّة**

سعت نظرية النحو الوظيفي لدراسة بناء الجملة من حيث الوحدات اللغوية وغير اللغوية داخل الخطاب وخارجه، بوصفها وسيلة وأفعالا لغوية متعددة يستعملها متحدثو اللغة الطبيعية للوصول إلى أغراضهم، كما يتحقق إنشاؤها في هذه النظرية بوساطة بنى ثلاث، هي: البنى الحملية، والبنى الوظيفية، والبنى المكوّنية. إذ تتكفل ثلاثة أنساق في إنتاجها متمثلة في قواعد الأساس وإسناد الوظائف وقواعد التعبير. ووفق ما سبق يطرحُ المتوكل ما أطلق عليه (الجهاز الواصف)، والشكل الآتي يُمثّل ذلك[5]:

(1) **ينظر** المتوكل، أحمد: **المنهج الوظيفي في البحث اللساني.** ط1، دار الأمان، الرباط، 2006، ص245.

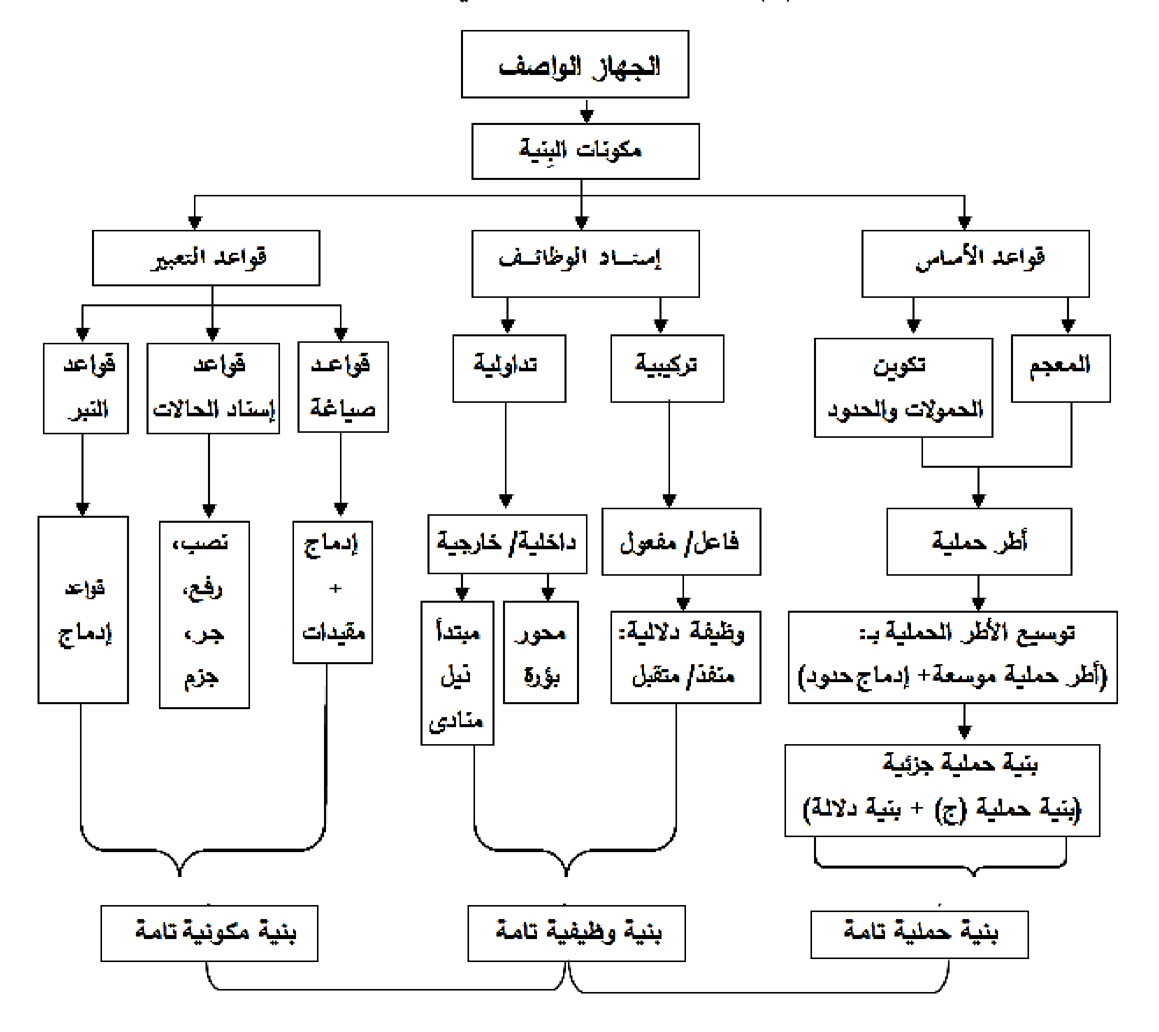
(2) المتوكل، أحمد: **التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات.** ط1، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب، 2005، ص21-22.

(3) المتوكـل، أحمـد: **اللسانيات الوظيفيــة (مدخـل نظــري).** ط1، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1989، ص139.

(4) **المرجع السابق نفسه**، ص23.

(5) **يُنظر** المتوكل، أحمد: **الوظائف التداولية في اللغة العربية.** ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الرباط، 1985، ص80-85.

الشكل (1): الجهاز الواصف وفق رؤية أحمد المتوكل



تشمل البنى الوظيفية وظيفتين أساسيتين، هما: وظيفة رئيسة حدود وظيفة (الفاعل)، وثانوية تستندُ إلى وظيفة (المفعول)، وتُسند هاتان الوظيفتان وفقا للتركيب الذي يتخذه المتكلم بالنظر إلى الواقعة التي يدل عليها المحمول [1]. ولا يمكن لهذه الوظائف أن تؤدي وظيفتها الكلية، إلا إذا أُسندت إلى الوظائف الدلالية كونها تُحددُ وظيفيا بتحديد الواقعة التي يدل عليها المحمول، فوظيفة الفاعل تُسند للحدود الحاملة للوظائف الدلالية (المنفذ). أما وظيفة المفعول فتسند إلى الحد (المُستقبِل)، ولكي تتضح العناصر السابقة، لنتأمل المثال في جملة (ركلَ سالمٌ الكرةَ)، فالفاعل (سالم) حامل للوظيفة الدلالية (المُنفذ)، والمفعول (الكرة) حامل لحد (المُتقبل)[2]. إذن، وظيفة الفاعل والمفعول عنصران أساسيان ومشكّلان للبنية الوظيفية التركيبية، ولا تتحقق وظيفتهما إلا بإسنادهما للوظائف الدلالية.

تعدُّ الجملة في نظرية النحو الوظيفي حملا يتضمن محمولات وموضوعات داخلية وخارجية عدَّة، أسهمت في إنتاج تقسيمات جديدة متكوّنة من أطر تركيبية مختلفة باختلاف طبيعة المحمول، إذْ قسّم

---

(1) المتوكل، أحمد: **الوظيفة بين الكلية والنمطية**. ط1، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2003، ص172.

(2) **ينظر** المتوكل، أحمد: **قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص**. د.ط، د.ت، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ص107-108.

المتوكّـل الجُمـل إلـى جمـل ذات محمـول فعلـي، وجمـل ذات محمـول غيـر فعلـي[1]، وسنوضـحُ ذلـك فيمـا يلي:

أ- الجملــة ذات المحمــول الفعلــيّ: يقصـد بهـا الجملـة الفعلية التـي تتميـز ببنيـة موقعيـة، تشـمل محمـولا فعليا يـرد فـي الموقـع الأول، ثـم يليـه الفاعـل مباشرة [2]. ويأخـذ محمـول هـذا النـوع مـن الجمـل ثـلاث صـيغ (الماضــي، المضــارع، الأمــر)، وتتحقـق هـذه الصـيغ بالفعـل ذاتــه (تـام) حسـب أنـواع المخصصــات فــي الجمـل سـواء أكانــت زمنيــة أو وجهيــة أو إنجازيــة، إذا كانــت صــيغته مجــردة ماضــية أو مضــارعة أو بأفعال مساعدة أو أدوات تسبقه، فتصبح صيغته مضافة غير تامة دالة على زمن ما[3].

ب- الجملــة ذات المحمــول غيــر الفعلــيّ: تختلـف صـياغة الجملـة ذات المحمـول غيـر الفعلـي عـن الجملـة ذات المحمـول الفعلـي لأنَّ محمولهـا ينتمـي إلـى مقولـة الاسـم أو مقولـة الصـفة أو مقولـة الظـرف[4]. وهـذا يُفضــي لنــا ثلاثــة أصـناف مـن الجمـل: الجملــة الاسـمية، والجملــة الوصـفية، والجملــة الظرفيــة. والدلالــة المقترنــة بالجمـل الاسـمية هــي التــي تحـدد أصـناف المحمـولات، ففــي قولنــا: (علــيٌ معلــمٌ) إنَّ المحمــول (معلـمٌ) دلَّ علــى الاسـمية. أمَّــا قولنــا: (خلــودٌ جميلــةٌ) فــإنَّ المحمــول دلَّ علــى الجملــة الوصــفية بــدليل (الصفة)، وفي قولنا: (السفرُ غدا) نجدُ الظرفَ (غدا) قد دلَّ على الجملة الظرفية.

نســتنتجُ أنَّ المحمــول الفعلــي يحقــق أربعــة مخصصــات، هــي: المخصــص الزمنــي الــذي يتعلــق بالأزمنــة الثلاثــة (مــاض، حاضــر، أمــر). والمخصــص الــوجهي المتعلــق بالإثبــات، النفــي، التعجــب، الـدعاء، الشـرط. والمخصـص الإنجـازي الـذي تنـدرج فيـه الجمـل الخبريـة والتراكيـب التعجبيـة. والمخصـص الوجهي الذي يتحقق بأفعال الشروع والمقاربة والتحوّل.

ويــأتي المحمـول الفعلـي أيضــا بصـيغة الفعـل، فيأخـذ صـيغته مـن المخصصـات التـي يحققهـا بذاتــه، ولا يعتمـد دائمـا علـى الأدوات والأفعـال المسـاعدة إلا إذا جـاء محمولــه غيـر تـام أو مقترنـا بــأدوات النفـي والإثبـات وأداتـي (السـين وسـوف). أمـا المحمـول غيـر الفعلـي فيـأتي فـي تراكيـب اسمية فقـط، ويكـون اسـما أو صـفة، أو ظرفـا، وتتحقـق مخصصــاته بوسـاطة أدوات وروابـط مختلفـة سـواء أكانـت فعليـة أو ضـميرية أو موقعية. ولتتَّضحَ الصورة النمطية لهذه التوزيعات والأنماط، لنتأمل الشكل الآتي:

---

(1) المتوكل، أحمد، **الوظائف التداولية في اللغة العربية**، ص82.

(2) **المرجع السابق نفسه**، ص82.

(3) المتوكل، أحمد، **قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية**، ص87.

(4) **المرجع السابق نفسه**، ص326.

الشكل (2): نوعا الجملة الحملية

مُخطط تقسيم الجملة وفق طبيعة المحمول

جملة ذات محمول فعلي (جملة فعلية)

مُخصصات

زمانية: +ماضي +حاضر +أمر

وجهية: إثبات، نفي، دعاء، تعجب، شرط

جهية: أفعال، +شروع +مقاربة +تحوّل

إنجازية: +إخبار +سؤال +أمر +استفهام + تعجب

جملة ذات محمول غير فعلي (جملة رابطية)

اسم — جملة اسمية

صفة — جملة وصفية

ظرف — جملة ظرفية

+ أفعال ناقصة
+ أفعال الصيرورة
+ أفعال الاستمرار

الربط الضميري

الربط الموقعي

بناء على المحددات السابقة، فإنَّ الباحثُ قسَّم الجمل التي جاءتْ فيها أساليب الاستفهام في سورة الكهف؛ لدراسة بناء الجملة الداخلة في هذه التراكيب، المكونة جملا تحمل مكوناتها وظائف تركيبية ودلالية وتداولية. وعلى التقسيمات التي اعتمدتها نظرية النحو الوظيفي، والمتمثلة في تقسيم الجملة بحسب طبيعة المحمول. وفيما يلي بيان الشواهد (الآيات القرآنية) وتحليلها وفق نوعي البنى الحملية الفعلية وغير الفعلية.

أولا: التركيب الاستفهامي المكوّن من جملة ذات بنية فعلية في صيغة الماضي.

➢ **النموذج الأول:**

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا (37) لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف 37–38].

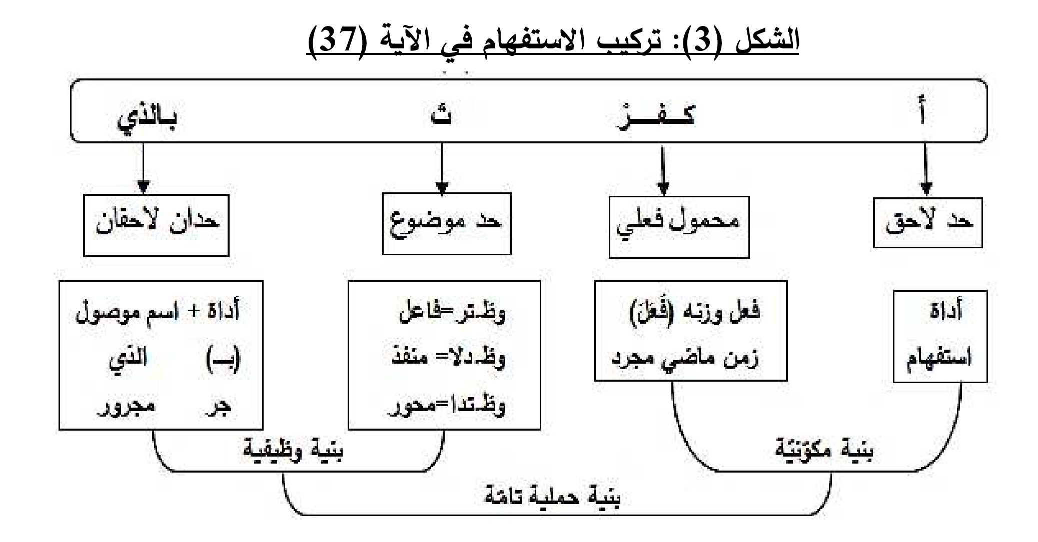
إنَّ هذه السُلَّمية تشكلتْ مكوناتها في هذا الخطاب الموجَّه من العبد المؤمن في قصة صاحب الجنتين والعبد الكافر وحوارهما القائم على ما جاء من إجابة العبد المؤمن، المتمسك بالإيمان وعبادة الله وحده، للرجل الكافر واعظا له، وزاجرا عما هو فيه من كفر لله واغترار، وذلك بالتركيب الاستفهامي الذي لم يأتِ على حقيقته، لأنَّ الصاحب كان يعلم أنَّ صاحبه مشرك بدليل قوله تعالى في سياق الخطاب: (ولا أشرك بربي أحدا) (الكهف، الآية37)[1]، لذلك برز الاستفهام التعجبي المشحون بالحجاج في سياق الآيات الكريمة السابقة. وتكمن فاعلية

[1] يُنظر: ابن عاشور، محمد الفاضل بن محمد الطاهر (ت1390هـ): **تفسير التحرير والتنوير**. دار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج8/ ص374. وأبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت745هـ): **تفسير البحر المحيط**. ط1، مطابع النصر الحديث، الرياض، (د.ت)، ج7/ ص450. وابن كثير، عماد الدين إسماعيل أبو الفداء (ت774هـ): **تفسير القرآن العظيم**. ط1، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، 1998، ج2/ ص1130.

الإقناع في تعجب العبد المؤمن من أمر صاحبه الذي كفر بالله تعالى، وحجب النعم التي أنعم بها عليه، وفي المقابل العبد المؤمن، لذلك جاءت عناصر الجملة والتراكيب المتعاضدة معها عبر السياق الحواري المُبين لحال الفريقين (صورة الرجلين)، ذلك أنَّ الكفار يعيشون في الخير والنعيم، لكنَّهم جحدوا بهذه النعم، وأشركوا بالله، بينما المؤمنون يعيشون في فقر لكنَّهم أطاعوا الله وآمنوا به؛ لتساهم هذه العناصر وفق مستوياتها بإثارة تعجب السامع والتأثير فيه.

تكوَّن أسلوب الاستفهام "البنية الحملية" (أكفرتَ...) في الآية الكريمة من محمول فعلي (كَفَرَ)، وحد موضوع متّصل بالمحمول الفعلي (تُ) الذي يدل على تحقق الواقعة الدّالة على العمل، لأنَّه جاء بصيغة الماضي المجردة التامة وعلى وزن (فَعَلَ)، فحقق: مخصصه الزمني الدال على الماضي، والمخصص الوجهي المتمثل في (الهمزة) التي دخلت على هذا المحمول، ولما جاءت به (أداة الاستفهام/ البؤرة) من إنكار عن طريق الاستفهام. والمخصص والإنجازي في الإنكار والتعجب. وجاء الحد اللاحق (أ) في أول هذه البنية، ثم تبعهُ حد موضوع الضمير المتصل (تَ) حامل للوظيفة التركيبية (فاعل) والوظيفة الدلالية (منفذ)، ووظيفة تداولية (محور). وبناء لما سبق، فإنَّ السُلّمية لهذه البنية الحملية التركيبية الدلالية جاءت على النحو الآتي: ((حد لاح (أ) + كفر (ف)<مض/ تا/ واق> + (تَ) حد <مو/ض.مت/فا/منف/مح>...)). ويُمثّلُ المخطط الآتي مكونات البنية التركيبية (الحملية) للنموذج السابق:

الشكل (3): تركيب الاستفهام في الآية (37)



أمَّا الوظيفة التداولية للتركيب الداخل على الجملة الاســـتفهامية (أكفرت...)، فإنَّ القوة التي تحققت في هذه البنية تكوَّنتْ من أداة الاستفهام (أ/ الهمزة) التي خرجت إلى قصد الإنكار والتعجب، فالفاعل (المنفذ) أدّى وظيفة تداولية داخلية هي (المحور)، فترتب عليه تمثُّلُ معنى القوة الإنجازية المســتلزمة في هذا الســياق، وفي ظلّ هذه الوظيفة التداولية شكَّلَ الاستفهام بؤرة مقابلة؛ إذْ إنَّ "الاستفهام بــــ(هل، والهمزة) يعقدُ في ذهن السائل مقابلة بين مكونين يُشكُّ في أنَّ أحدهما المكوّن الأساس للبؤرة الجديدة"[1].

---

[1] المتوكل، أحمد: **دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي**. دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ص127-128.

إنَّ مكونات البنيات التركيبية السابقة (أ+ كفر+ ت+ الذي+ خلقك+ ...) تعدُّ مفتاح الانسجام في بناء الحوار الذي يُشكّلُ ظاهرة بين آيات السورة المسبوق بـ (القول) والفعل المضارع الصريح الدال على ذلك في (يحاوره)؛ ثم شـكّل هذا الأسـلوب اللغوي أداة حجاجية قائمة على الإنكار، "لأنَّ كفر المرءِ بخالق نفسـه منشـأة للتعجب ومثار العجب"[1]. أمَّا سبب مجيء فعل هذا التركيب ماضويا فلدلالة على إثبات تحقق الذنب الذي اقترفه الرجل الكافر، ولإثبات صـــحة الإنكار، وكي لا يُتاح له المجال أن يُقرَّ بغير ذلك، تبعه الحد الموضـــوع (تاء المخاطب) الدال على أنَّ المنفذ الجاحد الذي كان محور هذا الحجاج لا يُقدّم شيئا بإنكاره تجاه الحدّ اللاحق الأقوى من سابقه الدال على التواضــع (بالذي)، فالخطاب في موطن الشــاهد هو تذكير للكافر، متحقق بالعناصــر الســياقية في الآيات الكريمة. وأدت صلة الموصول في الحدين اللاحقين (بـــــ+ الاسم الموصول) ما جاء في مضمون الصلة (خلقك من تراب...) تذكيرا للكافر بوضاعة أصله التي تفرض عليه التواضع وتبطل ما كان من تكبّر.

ولعلّ الاســم الموصــول جاء دون غيره من النظائر الدالة على ذات الله عزوجل؛ تأكيدا على فكرة التواضـــع مقابل التكبر، وبيانا لحقيقة نشأته منذ أن كان ترابا وضيعا حتى صار رجلا، لذلك يُفترض أن يكون هذا التواضع جديرٌ بأكمل العبادة والاعتراف بفضــل الإيجاد والخلق والتفضــيل، فاســتلزم العنصــر اللاحق (الحد الموضــوع) حضور العناصر الوظيفية السابقة مترابطة معا، وذلك تذكيرا بأصله المتنافي مع ما أبدى من غرور وتكبر، فكان

الشكــل (4): تحليل تركيب الاستفهام

مضــمون الصــلة تهكما بســخافة هذا العقل وتحقيرا لصــاحبه، ولعلَّ السُـلَّم الحجاجي الذي بُني في سـياق الآيات انسجم مع الوظائف التركيبية والدلالية والتداولية المستسقاة من السياق وعناصره:

(أ/ الهمزة) + كفر (ف) + ث (فا) + بالذي "حد.لاح"
++++ < ++حدث ++ < ++ Øم ++ < ++ Øم ++
_ بؤ مقا< ____<زم/ مض<______<مح<_____ < بؤ مقا – –
+++++++ إنكار/تعجب+++++++++++بؤرة مقابلة لإستفهام مكوني++++
قوة إنجازية مستلزمة

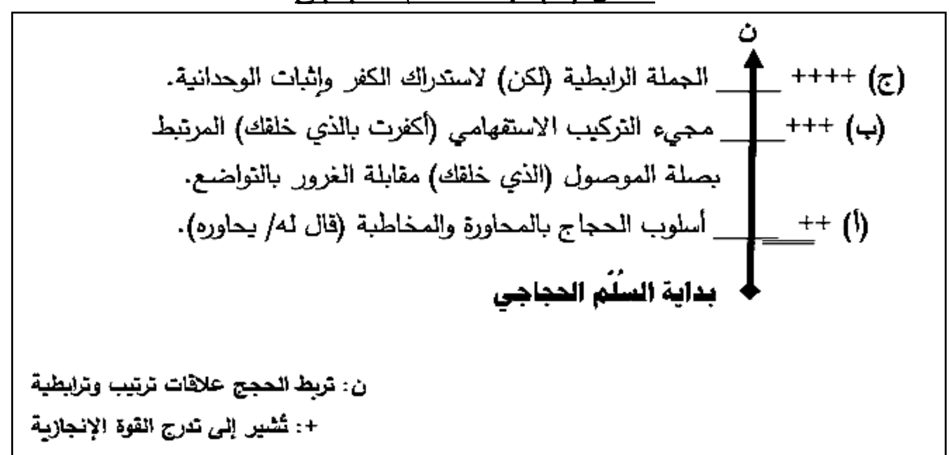
مثَّل أحد المكونين (تاء المخاطب، والموصـــول "الذي"/الحد اللاحق) البؤرة الجديدة، لكن الاســـتفهام بالهمزة حوّل هذه البؤرة إلى بؤرة مقابلة من الإنكار الذي جاء به. أمَّا مجال عمل الاســـــتفهام الداخل على البنية الخبرية

[1] **ينظر** باشا، أحمد بن سليمان بن كمال: **أسرار النحو**. تح: أحمد حامد، منشورات دار الفكر، عمان، 1991، ص302.

فكان يُركّزُ على استفهام المكوّن الحمليّ؛ لأنَّ أداة الاستفهام جعلته يتسلَّطُ على الحمل (التاء المتحركة)، لأنَّه هنا الفاعل والمنفذ والمحور. أمّا (الهمزة+ اللاحق/ بالذي) فحوّلها إلى البؤرة المقابلة.

يحصــلُ التعالق الحجاجي "في الخطاب الحواري بين فعل رئيســي وآخر مكمل" [1]، وبهذا فإنَّ القول والحوار (قال/ يحاوره) مثَّلا فعلا رئيسا في بناء السلم الحجاجي، ثم شكَّلت البنية الحملية الفعلية (أكفرت بالذي خلقك...) الفعل المكمّل لهذا البناء، ولعلَّ ما جاء من تتابع تكراري في الآية (من، ثم، من، ثم) أعطى ذلك الســـلَّم امتدادا يُظهر الوشائج الرابطة بين المراحل التي يمرُّ بها خلق الإنسـان وحياته، والممثلة للحجة الدالّة على كسـر الغرور مقابل التواضع والعظمة في الوقت ذاته. أمَّا البنية الرابطية في الآية (38) فتمثَّل توصل المتكلم إلى المعنى الأهم (هو الله ربي)، لأنّ الأصــل (لكن أنا الله ربي)، فحذفت الهمزة في (أنا) من باب التخفيف وزيادة التواضــع مقابل التكبر والغرور، وطلبا للخفة وكثرة الاســـتعمال. حيث أدغمت إحدى النونين في الأخرى نطقا [2]. وهذا الجانب نفســي تمثل في محاجة هذا العبد المؤمن للكافر، وكأنه يشــعر بالعزة والقوة حينما يرتبط تواضــعه وأمره بالله تعالى. والفضـــاء الدلاليّ المكون للقوة الإنجازية المســتلزمة في بناء الوظيفة التداولية، يُســهم في تشــكيل البؤرة المقامية المقابلة، إذْ أدّى نمطا تعالقيا بين الأنماط الخطابية بوساطة الربط الحجاجي بين الحدود السابقة واللاحقة لتركيب الاســـتفهام، فالمتأمل في الآيات الكريمة يجد في قوله تعالى: (لكنَّا هو الله ربي) الرابط الحجاجي وفق مقاربة الفعل الخطابي في نظرية النحو الوظيفي، وهو الرابط (لكن) الذي جاء للاستعمال الحجاجي "بالانتقال من غرض إلى آخر على سبيل الاستدراك"[3]، فهنا جاءت بؤرة الإنكار والجحود وإثبات ذلك على العبد الكافر مقابل بؤرة الغرض الآخر المتمثّل بالإيمان بالله تعالى وتوحيده، وإليك البنية الحجاجية لخطاب المحاورة:


الشكل (5): بناء السلم الحجاجي



(1) زيغد، سعيدة علي: **تحليل الخطاب الحواري في نظرية النحو الوظيفي**. ط1، الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2014، ص153، 161.
(2) القيسي، مكي ابن أبي طالب: **العمدة في غريب القرآن**. تح: يوسف المرعشلي، ط1، القاهرة، مؤسسة الرسالة، 1981، ج1/ ص133.
(3) زيغد، سعيدة علي: **تحليل الخطاب الحواري في نظرية النحو الوظيفي**. ص186.

إنَّ ما جاء في النقطة (أ) زاد في حجم القوة الإنجازية الحجاجية للبؤرة الاستفهامية (ب) مع استدراك الكفر كما جاء في النقطة (ج)، وهذه المكونات انسجمت معا في بناء العلاقات الخطابية الحجاجية، ورصد بناء السُلَّم المؤدي إلى بيان الغرض من التركيب الاستفهامي وفق تحليل العناصر في ضوء النحو الوظيفي، الذي جاء لاستدراك موقف الكافر (الهمزة/ مقابل/ لكن)، حيثُ يقتضي علم المؤمن المسبق بكفر صاحبه (صاحب الجنتين) خروج الاستفهام للإنكار والتعجب، واستدراك ذلك الإنكار بإثبات ما ينكره المخاطَب ويرفضه من المتكلم.

- **النموذج الثانـي:**

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَآءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾. [سورة الكهف، 102].

جاءتْ هذه الآية الكريمة في سياق الحجاج القرآني؛ لبيان بطلان دعوى المشركين الكافرين الذين اتخذوا بعض الأولياء والأنبياء شركاء لله يعبدونهم، ويزعمون أنَّ لهم أولياء ينجونهم من عذاب الله، وهم قد كفروا بالله ورسله، فيخاطبهم الله عزوجل على وجه الاستفهام والاستنكار المتقرر بطلانه في العقول (أفحسب)، أي لا يوالي ولي الله معاديا لله أبدا، فإن الأولياء موافقون لله في محبته ورضاه، وسخطه وبغضه، فيكون على هذا المعنى مشابها لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ (41)﴾ (سبأ، 40–41). فمن زعم أن يتخذ ولي الله وليا له، وهو معاد لله، فهو كاذب. والمعنى الظاهر أن هذا الحسبان باطل. أمَّا سياق الآيات الكريمة المتعاضدة مع مواطن الشاهد عبر البنية التركيبية المكونة لأسلوب الاستفهام تُبيّن لنا أنَّ من يتخذ من دون الله وليا ينصره ويواليه ظلّ خائب الرجا[1]. لذا تكوَّن أسلوب الاستفهام في الآية الكريمة من حدين سابقين وهما: (همزة الاستفهام، والفاء)، ومحمول فعلي (حَسِبَ)، وحد موضوع منفصل عن المحمول الفعلي هو الاسم الموصول (الذين) الدال على تسفيه أفعال هؤلاء الكافرين. ولبيان المخصصات التي حققتها البنيات المكونية للمحمولات السابقة في الآية الكريمة، نجدُ:

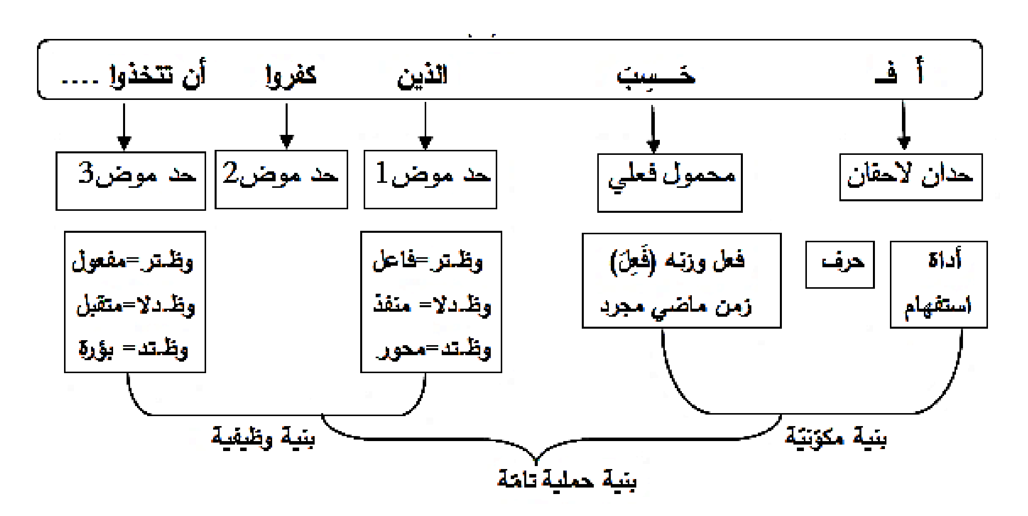
- أنَّ المحمول الفعلي (حسب) حقق المخصص الزمني الدال على الماضي.
- أنَّ الحد السابق (الهمزة) التي دخلت على المحمول الفعلي حقق المخصص الوجهي والإنجازي المتمثل فيما جاءت به الأداة من إنكار لظنهم ونفي لاتخاذهم دون الله نصيرا وعونا.
- ثم تبعهُ حد موضوع (الضمير المنفصل/ الذين) الحامل للوظيفة التركيبية (فاعل) والوظيفة الدلالية (منفذ)، ووظيفة تداولية (محور).
- وتبع ذلك بعد عدّة حدود موضوعات الحدّ (أن تتخذوا) وهو المصدر المؤول (اتّخاذكم) الذي يحمل الوظيفة التركيبية (المفعول) والوظيفة الدلالية (متقبل).

---

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت1376هـ): **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تح: عبد الرحمن بن معلا، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م، ص487.

– وبناء لما سبق، فإنَّ السُلّمية لهذه البنية الحملية جاءت على النحو الآتي: ((حد لاح (أ) + حسب (ف)<مض/ تا> + (الذين) حد<مو/ض. منفص/فا/منف/مح>...)).

جاء الاستفهام بعد عرض الحقيقة ومعرفتها، إذْ لا يعود استفهاما على المفهوم الأصلي له، فلا يقصد الاستفهام على حقيقته، لأنَّ المكونات السابقة خرجت لمعنى النفي بالحد اللاحق للفعل، وهذا استنكار لفعلهم. وهو تعقيب على هذا التقابل بالتهكم اللاذع والسخرية المريرة، حيثُ ناسب الظن ما اتخذوه. ويُمثّلُ المخطط الآتي مكونات البنية التركيبية (الحملية) للنموذج السابق:



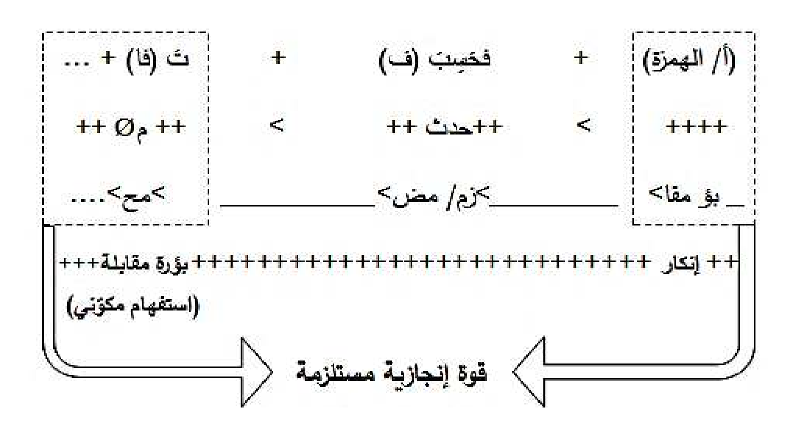
إنَّ السلّم الحجاجي الذي يمكن بناؤه في السياق يتطلب حضور موطن الشاهد في السياق كاملا، والبدء بالماضي في (حسب) كونه جاء من الأفعال الحكمية الإقرارية، إذْ بدأ الحجاج بالحد اللاحق للمحمول الفعلي، المسبوق بأداة الاستفهام للإنكار والتوبيخ. وأمَّا مجيء الفاء الاستئنافية بعد الهمزة وفق هذا الترتيب فذلك لأنّ الاستفهام كان لطلب التصديق (أي تعيين النسبة)، ولأن الجملة مما يُجاب عنها بـ(نعم) أو (لا). والنسبة هنا تعني قيام الذات الفاعلة بالفعل، ولمّا كان نظام الجملة الاستفهامية يقتضي بأن "تتصدر أداة الاستفهام ويليها المسؤول عنه، فعلا أو اسما أو زمانا أو مكانا أو حالا"[(1)]. ومناط الاستفهام في البنية الحملية هو الفعل المحقق للمخصص الزمني الدال على الماضي، لا مَن قام بالفعل، مما يعطي حيزا كبيرا للعناية بالفعل إشارة إلى الأحداث. وتشكّلتْ الوظيفة التداولية للتركيب الداخل على الجملة الاستفهامية (أفحسبَ الذين...) بالقوة التي حققتها هذه البنية المكوَّنة من أداة الاستفهام (أ/ الهمزة) التي خرجت إلى قصد الإنكار توبيخا لهم. أمَّا الاسم الموصول "الذين" (الفاعل/ المنفذ) فأدّى وظيفة تداولية داخلية هي (المحور)، وبما أنَّ الاستفهام بالهمزة يعقدُ في ذهن السائل مقابلة بين مكونين يُشكُّ في أنَّ أحدهما المكوّن الأساس للبؤرة الجديدة، بالتالي ترتب عليه تمثُّلُ

[(1)] المخزومي، مهدي بن محمد: **في النحو العربي، نقد وتوجيه.** المكتبة العصرية، بيروت، 1964، ص275.

معنى القوة الإنجازية المســتلزمة بسـبب دلالة الهمزة في هذا الســياق إضــافة إلى العنصــر الزمني الدّال على الماضي والمحور (الفاعل). وفي ظلّ هذه الوظيفة التداولية جاء الاستفهام بؤرة مقابلة مع الهمزة.

ومثّل المنفذ/ الفاعل (الذين) البؤرة الجديدة، إذْ حُوّلَتْ هذه البؤرة إلى بؤرة مقابلة، بسبب تعاضد الإنكار مع ما جاء به الاستفهام. أمَّا مجال عمل الاستفهام الداخل على البنية الحملية الخبرية فكان يُركّزُ على استفهام المكوّن الحمليّ؛ لأنَّ أداة الاستفهام جعلته يتسلَّطُ على المكوّن (الذين)، كونه الفاعل والمنفذ والمحور والبؤرة الجديدة. أمّا (الهمزة+ المحور "فا/منف) فحوّلها إلى البؤرة المقابلة. وبناء على ما سبق يُمكِنُ بناء البنية السُلّميّة للوظيفة التداولية بناء على الوظيفتين التركيبية والدلالية السابقتين على النحو الآتي:

<u>الشكل (7): تحليل تركيب الاستفهام</u>



إنَّ القصدَ في الاستفهام لم يأتِ على حقيقته بل هو استنكار لفعلهم وحالتهم تلك. "وتقدَّمَ حرف الاستفهام على الفاء؛ لأن للاستفهام صدر الكلام وهو كثير في أمثاله، والخلاف شهير بين علماء العربية بأنَّ الاستفهام مقدّم من تأخير، أو أنَّ العطف إنما هو على ما بعد الاســتفهام، فحذف المســتفهم عنه لدلالة المعطوف عليه، فيُقدّر هنا: أأمنوا عذابي فحسبوا أن يتَّخذوا...، وأول القولين أولى... والاستفهام إنكاريّ، والإنكار عليهم فيما يحسبونه يقتضي أنَّ ما ظنوه باطلا، أما نظريه فقوله تعالى: ﴿أحسب الناسُ أن يتركوا﴾ (العنكبوت، الآية 2). ويتضمن الاستفهام في هذه الآية معنى الإنكار والتوبيخ"[(1)]. أمَّا الالتفات بين المخصــص الزمني الماضــي (حســب) والمخصــص الزمني الحاضـــر (يتخذوا)؛ للدلالة على مقابلة الظنّ والشـــك بثقة من غير الله تعالى بالفعل المنكر (الاتخاذ)، وليؤكد الله تعالى على تقديم دليل لهم ينسفُ به إنكارهم أي حسبان أو ظنّ.

وجاء التركيب الاستفهاميّ يُمثّلُ الحجاج بالاستشهاد، لأنَّ الغاية منه توضيح القاعدة من الله تعالى، وتأكيده أنَّ الكفار اتَّخذوا من دونه قربانا وأولياء فعبدوا غيره، لذا قدَّم ســـبحانه دليلا ســـاطعا لهم. وأفادت المحمولات

---

(1) بوكليش، وداد: **الاستفهام في سورة الكهف، دراسة أسلوبية**، مجلة روافد المعرفة، جامعة الزيتونة، كلية الآداب والعلوم– ترهونة، العدد (3)، 2016، ص162.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

وحدودها التأكيد على وجود الله ووحدانيته، وأنَّه هو صـــاحب الحجة القاطعة، وأنّ هذه الحجة التي تثبت ألوهيته وربانيته ووجوده دون ســـواه خالقا لهذا الكون، ومعينا للمحتاج والمتوكل، فهو المرســـل في هذا الخطاب. أما المخطط الآتي فيُمثّل ذلك:

الشكل (8): بناء السُّلّم الحجاجي

(1) (المرسل/ الله عزوجل): صاحب الحجة الدامغة
(2) الرسالة: معالجة (الظن بغير الله وليا)
(3) الحجاج بالاستشهاد: إنكار ظنهم وإثبات الألوهية لله تعالى وحده (أفحسب الذين...)
(4) المخاطب/ المرسل إليه: (الكافرون)

ثانيا: التركيب الاستفهامي المكوّن من جملة ذات بنية فعلية في صيغة الحاضر.

- **النموذج الأول:**

قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا (71)
قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا (73)
فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا (74)۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ
إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا (75)﴾ [الكهف: 71-75].

في الآيات الكريمة السابقة إخبارٌ عن موسى عليه السلام والعبد الصالح (الخضر) عليه السلام في رحلتهما طلبا للعلم[1]، وهي تجمع بين الإقرار بأمر (الرسالة) والاعتذار من أحد عناصر الخطاب، فجاء أسلوب الاستفهام المخطوط تحته –البنية الحملية– (قال ألم أقل...) في الآية الكريمة مكوّنا من محمول فعلي (قال)، وحده الموضوع (الضمير المستتر "هو")، تبعه الحدان اللاحقان (همزة الاستفهام، وأداة النفي)، والمحمول الفعلي (أقل) الدال على صيغة المضارع المجردة، وحده الموضوع المستتر (أنا). لذا حقق المحمول الفعلي المخصص الزمني لهذه البنية

---

[1] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت538هـ): **تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، ج2/ ص735-736.

الدال على الحاضر. وقد حقق المخصص الوجهي المتمثل في (الهمزة) لبيان التقرير بالإخبار والإثبات المتموضع بالعمل (القول)، والمخصص الإنجازي في الاستفهام. لذلك للبنية المكونيّة وظائف ترتبط معا، ومتمثلة بما يأتي:

1) المحاجة الأولى والثانية بفعل الخطاب:

- فعل← قالَ← مخصص زمني ماض.
- فاعل← الضمير المستتر (هو) ← وظيفة تركيبية (فاعل)، ووظيفة دلالية (منفذ).
- وبناء لما سبق، فإنَّ السُلّمية لهذه البنية الحملية جاءت على النحو الآتي: ((قال (محم.فع)<مض/ تا> + (تَ) (حد.موض) <ض.مس/فا/منف>...)).

2) أسلوب الاستفهام (ألم أقلْ...):

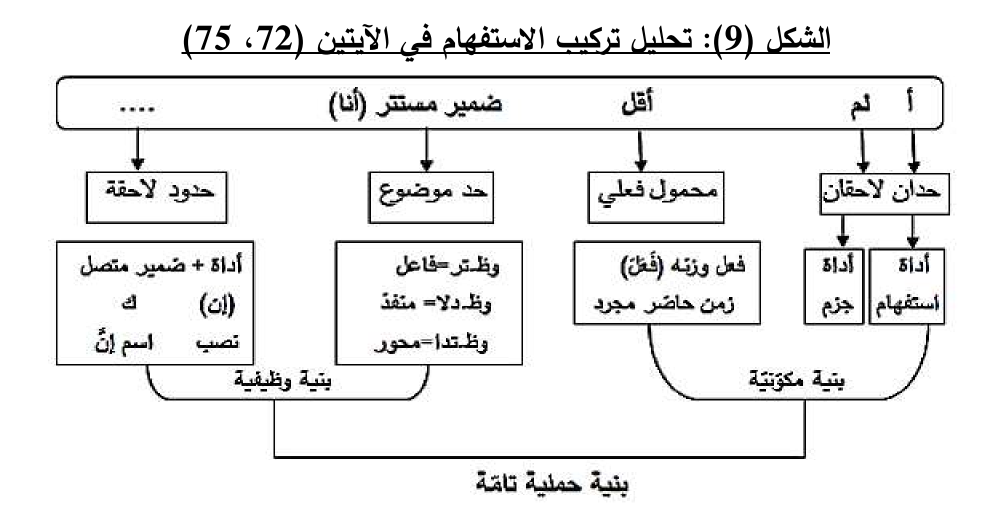
- حدّان لاحقان ← الهمزة، وأداة الجزم (لم) ← التقرير والإثبات.
- محمول فعلي (فعل)← أقلْ← دلالة الزمن الحاضر، الدال على عمل (القول/ الإخبار).
- حد موضوعي (فاعل)← الضمير المستتر (أنا) ← وظيفة تركيبية (فاعل)، ووظيفة دلالية (منفذ).
- وبناء لما سبق، فإنَّ السُلّمية لهذه البنية الحملية جاءت على النحو الآتي:

((حد لاح1 (أ) + حد لاح2 (لم)+ أقلْ (محم.فع) (ف)<حض/ تا> + (حد.موض) (أنا) < ض.مس/فا/منف/مح>...)).

إنَّ الحدّين (أ/ لم) جاءا للدلالة على إقرار المخاطب/ المرسل إليه، أمَّا المخصص الدال على الحاضر (أقل) فكان لحمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد اســـتقرَّ نفيه، وذلك بإثبات الخبر. وجاءت الهمزة الظاهرة في التركيب الاستفهامي تشكّل نمطا وظيفيا، خاصــة مع تتابعها مع غيرها من الحدود، لذا كان الأثر في موطن الشـــاهد واضـــحا، حيثُ الاســـتفهام التقريري التعريفي باللوم على عدم الوفاء بما ألتزم، أي تُقرُّ المخاطَب بعدم الصـــبر والاســـتطاعة. أمَّا دخول الحد الأول (الهمزة) على الحد الثاني أداة النفي (لم)؛ فلإلزام المخاطب الإقرار بأمر يعرفه، حيثُ لا يُمكنه أن يُنكر ذلك. وقد ذكر رضـي الدين الأستراباذي أنه "إذا دخلت همزة الاستفهام على (لم) و(لما) فهي للاستفهام على سبيل التقرير"[(1)] من المنفذ إلى المخاطَب مباشرة. ويُمثِّلُ المخطط الآتي مكونات البنية التركيبية (الحملية) للاستفهام في النموذج السابق:

[(1)] الأسـترابادي، محمد بن الحسـن (ت686هـ): **شـرح الرضـي لكافية ابن الحاجب**. تح: يوسـف حسـن عمر، منشـورات جامعة قاريونس، ليبيا، 1974م، ج4/ ص83.

الشكل (9): تحليل تركيب الاستفهام في الآيتين (72، 75)



أمَّا الوظيفة التداولية للتركيب الداخل على الجملة الاستفهامية (ألمْ أقلْ...)، فإنَّ القوة التي تحققت في هذه البنية زائدة عن التراكيب في الآيات الكريمة السابقة، إذْ اقترنت الهمزة بأداة النفي (لمْ) ليؤديا قصد التقرير والتأكيد. وجاء الفعل يحمل دلالته الزمنية الحاضرة، أمّا الفاعل فالضمير المستتر "أنا" (المنفذ) أدّى وظيفة تداولية داخلية هي (المحور)، فترتب عليه تمثُّلُ معنى القوة الإنجازية المستلزمة بسبب اقتران النفي بالاستفهام مؤدّيًا معنى التقرير والتأكيد على فعل القول، وهذا ما أشارتْ إليه العناصر التركيبية ودلالاتها في هذا السياق، وهذا المعنى الجديد الذي يستلزمه السياق. كان موطن الشاهد الأول يهدفُ بمكوناته كافة لإقرار المخاطَب ما انتفى به الاستفهام للإيجاب، لأنه جاء بعد إخلال موسى عليه السلام عهده ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (الكهف، الآية 69). أمَّا مجيء موطن الشاهد مرة أخرى في الآية (75)؛ للتأكيد على أنها كانت دعوة صريحة من المنفذ (أنا) للمتقبل السابق محور عناصر الخطاب، وأن هذه الدعوة صريحة لموسى عليه السلام؛ كي يعترف بإخلاله وعده للخضر عليه السلام ويقرُّ له أنَّه كان على حقّ حين قال: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (الكهف، الآية 75)، وتنكير المنفي (صبرا) في عدم الاستطاعة كان أبلغ في التأكيد على انعدام صبر موسى عليه السلام؛ لأن التنكير فيه شمولية لأنواع الصبر ودرجاته مع العبد الصالح، أي أنَّ ذلك كلّه هو تنكير ما شاهده من أفعال العبد الصالح المُنكرة، والأنبياء عليهم تغيير المنكر.

النموذج الثاني

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50) مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (52)﴾ [سورة الكهف، 50-51].

جاءت الآية الكريمة في سياق إنكار عبادة الكافرين للجن واتخاذهم أولياء لهم، فتكوَّن أسلوب الاستفهام "البنية الحملية" (أفتتخذونه...) في الآية الكريمة من الحدّ الأول (همزة الاستفهام)، والحد الثاني (الفاء الاستئنافية)، ثم

محمول فعلي (تتخذ)، وحد موضوع ضمير متصل بالمحمول الفعلي (واو الجماعة)، الذي جاء بصيغة المضارع المجرد الدال على الزمن الحاضر التام، وبذلك حقق المحمول الفعلي المخصص الزمني لهذه البنية الدال على الحاضر، والمخصص الوجهي المتمثل في (الهمزة) التي دخلت على هذا المحمول، للتأكيد والإثبات المتموضع بنفي العمل (الاتّخاذ)، وحقق المخصص الإنجازي بالاستفهام. ولهذه البنية المكونيّة لها وظائف تترابط معا، وتتمثل بما يأتي:

- حدّ لاحق← الهمزة← نفي الاتخاذ بغير الله وبطلان فعلهم.
- حدّ لاحق 2← الفاء.
- محمول فعلي (فعل)← تتخذون← دلالة الزمن الحاضر، الدال على العمل (المتموضع).
- حد موضوع 1 (فاعل)← الضمير المتصل (وا)← وظيفة تركيبية (فاعل)، ووظيفة دلالية (منفذ)، ووظيفة تداولية (محور).
- حد موضوع 2 (مف1)← الضمير المتصل (الهاء)← وظيفة تركيبية (مفعول)، ووظيفة دلالية (مستقبل)، ووظيفة تداولية (بؤرة).
- حد موضـــوع 3 (مف2)← الاســـم الظاهر (أولياءَ)← وظيفة تركيبية (مفعول)، ووظيفة دلالية (متقبل)، ووظيفة تداولية (ذيل).
- وعليه، فإنَّ السُلّمية لهذه البنية الحملية جاءت على النحو الآتي:

((حـد لاح1 (أ) + حـد لاح2 (فـــــ)+ تتخـذ (محم.فع) (ف)<حض/ تـا> + (حـد.موض1) (وا) <ض.مت/فا/منف/محو> +.....+ (حد.موض2) (ـــــــه)< ض.مت/مفع1/مست/بؤر>+ (حد.موض3) (أولياء) <اس.ظا/مفع2/متق/ذيل>)).

أمَّـا الوظيفـة التداوليـة للتركيـب الـداخل علـى الجملـة الاسـتفهامية (أفتتخذونـه...)، فـإنَّ القـوة التـي تحققـت فـي هـذه البنيـة قـوة إنجازيـة مسـتلزمة، إذْ اقترنـت الهمـزة بالمنفـذ والمتقبـل ليـؤدوا قصـد الإنكـار بـالنفي، لأن التعليـل نحـا منحـى المحاججـة العقليـة بـدءا مـع مـا يُسلّمُ بـه المشـركون وإبطـال مـا يعتقدونـه، ذلـك أنهـم يعترفـون بـأن الله هـو المتفـرد بخلـق السـماوات والأرض وخلـق الموجـودات. وأدت الحـدود اللواحـق (أ/ الفـاء)، والفعـل المضـارع والحـدود السـوابق (المنفـذ/ واو الجماعـة، والمتقبـل/ الـهاء)، "نفـي المشـاركة فـي الألوهيـة سـواء أكـان بـالخلق عـن طريـق نفـي النتيجـة بانتفـاء سـببها"[(1)]. وجـاء الفعـل يحمـل دلالتــه الزمنيــة الحاضــرة المقتــرن بالمنفــذ (وا)؛ ليــؤدي وظيفــة تداوليــة داخليــة هــي (المحــور)، ولتكــون الطريقة التي تبطل بها أحقيتهم بالعبادة (الرسالة/ موضع الكلام) ببطلان صفة الألوهية.

لذا جاءت البنى التركيبية بوظائفها المختلفة تدلّ على أن اللفظ المحوري هو الله عزوجل بدليل المتعلقين (من دوني)، وكأنها دعوى بالافتراء عليه شـــريكا في الألوهية والعبادة، ومثّل (إبليس وذريته) مع تركيب الاســـتفهام

[(1)] ابن عاشور، محمد الطاهر (ت1393هــــ): **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ج15/ ص342.

(أفتتخذونه) موقع التجريم في محاكمة المتهم لإبطال ما يتخذون ويفترضـــون، وقد ظهرت عناصــــر المحاكمة كاملة: المتهم الأول (المشــــركون/ الهاء في تتخذونه)، والمتهم الثاني (إبليس وذريته/ الضـــمير الظاهر "ما أشهدتـ(ـهم)). وكان أساس هذه المحاكمة هو الخلق، وأسفرت إلى تأكيد جوهر العقيدة بأنَّ الله عزوجل هو الأحقّ بالعبادة.

ونتبين بذلك كلّه عمق النفي في امتداده أفقيا، حيثُ وصــــل هذا المعنى إلى الآية التالية لموطن الشــــاهد، والعمق الدلالي في الأرض كونها معطوفة على السماوات، بل تعدى ذلك إلى ما بعد السماوات والأرض، لنصل إلى أنَّ معنى النفي حينئذ قد شمل إشهاد إبليس وذريته خلق السماوات والأرض والأنفس، "أي لم يشهد بعضهم خلق بعضهم الآخر بقرينة استحالة مشاهدة المخلوق خلق نفسه"[1]. ووفق تلك المعطيات الاستنتاجية السابقة، نجدُ سلّم الحجاج الذي تكوَّن عبر العلاقات في نفي الإشراك والاتخاذ، قد تشكَّل عبر البناء الآتي:

الشكل (10): بناء السُّلَّم الحجاجي



ثالثا: التركيب الاستفهامي المكوّن من جملة ذات بنية غير فعلية.

- **النموذج الأول:**

قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا (56) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الهدى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (57)﴾ [سورة الكهف، 56-57].

[1] الزمخشري: **تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج2/ ص735-736.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

جاءت الآيتان الكريمتان في سياق مخاطبة الله تعالى من يتخذ الأنبياء والمرسلين ومعجزاتهم هزوا، فيخاطب النبي محمد ﷺ عن المعرضين عن آيات الله عند التذكير بها، الداعية إلى الاستقامة على محجة الحق والإيمان بالله، وأنه لو جاءهم من عند ربهم أي تذكير بذلك فلن يفيدهم ولن يستقيموا أبدا على الحقّ، ولن يؤمنوا بما دعاهم النبي ﷺ إليه، لأن الله قد طبع على قلوبهم، وسمعهم وأبصارهم. لذلك تكوَّن "البنية الحملية" (وَمَن أظلمُ...) في الآية الكريمة جملة ذات محمول غير فعلي؛ لأنَّها تأتلف من محمول اسمي (أظلمُ) الدّال على الصفة المرفوعة في صيغة التفضيل، وحدّ موضوع وهو اسم الاستفهام (مَنْ)، حيث جاء حاملا للوظيفة الداخلية المحور. ومن حد لاحق في بدايته (الواو)، وحد لاحق بعده (ممن...).

- حد لاحق قبله← (الواو).
- حد موضوع← اسم الاستفهام (مَنْ)= محور (ربط موقعي)؛ للإنكار بأنه لا أحد أظلم من هؤلاء المشركين.
- محمول غير فعلي← (أظلم)= مقولة الصفة
- حد لاحق بعده← (ممن....).
- إنَّ السُلّمية لهذه البنية الحملية جاءت على النحو الآتي: ((حد لاح.قب (الواو)+ (مَنْ)<حد.موض/اسم.استف/ محو> + (أظلمُ) محم.غ.فع <اس.ظ/ص>+ حد لاح. بع (ممن) <جا+مج>...)).

إنَّ صيغة التفضيل (أظلم) المسبوقة بالمحور (أداة الاستفهام) "أوحت بصلابة قلوب المشركين ومحاجتهم للنبي ﷺ وتمسكهم بكفرهم (... وجعلنا على قلوبهم أكنة...)"[1]. والمعنى العقلي الذي زاد الحجة بيانا ووضوحا هو مجيء اسم الاستفهام متبوعا بمقولة الصفة؛ لزيادة الإقناع في ذهن المتلقي، مما يدل على إعراض الكفرة عن القرآن الكريم. هذه الصورة (ومن أظلم/ ممن ذكّر بآيات ربه) التي لها أثر حجاجي في إقناع المتلقي بأن هؤلاء المشركين لا تنفعهم قراءة الخطاب القرآني أو فهمه. والحجة تبرير وتحذير من عدم سماع آيات الله تعالى، فهي كفر. أي أن نص الرسالة الربانية ثقيل على آذان المشركين. لذا جاء التركيب دالا في سياق الآيات الكريمة على تأكيد ظلال المشركين.

ولعلَّ الموازنة بين موطن الشاهد الآية (57) من سورة الكهف ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الهدى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾، وقوله تعالى في الآية (22) من سورة السجدة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾، ستكشف لنا عن تعزيز الوظيفية النحوية للاستفهام، إذْ إنَّ الفاء تفيد الترتيب والتعقيب لا تراخي في الزمن، و(ثم) تفيد الترتيب والتراخي (يعني مهلة من الزمن). معنى هذا أن وقوع الإعراض في آية الكهف أسرع منه في آية السجدة لأنه قال (ذُكِّر... فأعرض)، وهناك قال: (ذُكِّر... ثم أعرض)، إذن معنى ذلك أن الإعراض في آية سورة

(1) الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، مؤسسة الحلبي، سوريا، ص237. (مادة/ ظلم).

الكهف وقوعه أسرع. وذلك لما ذُكر في آية الكهف من أمور تسرع في إعراضه لم تُذكر في آية السجدة، والإعراض واقع في عقب التذكير: (ونسي ما قدمت يداه)، (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه)، (وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً). وهذا كله مما يسرع في إعراضهم. ولم يرد هذا في سورة السجدة ولم تُذكر دواعي تُسرع في إعراضه كما ذكر في آية الكهف. لذا تؤدي البنية التركيبية الاستفهامية بالتعاضد مع المكونات السياقية الأخرى الإسراع في النفي أو التأكيد أو التقرير وغيره مما يقرّ به المخاطِب في إيصال الرسالة.

النموذج الثانــي

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف، آية:19].

جاءت الآية الكريمة في سياق يمثله وضع الفتية بعد أن أفاقوا من نومهم في الكهف، وأرسلوا واحدا منهم في طلب الطعام، إذ بدأت الآية بتركيب الحد الأول (فابعثوا أحدكم) التماسا بالإعفاء من أداء هذه المهمة عند المتكلم، وكأن الجملة قد قيلت بعد عدم مبادرة أحدهم النهوض بالمهمة. ثم الحدّ الثاني (فلينظر) المكون من محمول فعلي (ينظر) وحدين سابقين (فاء العطف/ ولام الأمر) لتمهد في ذهن المتلقي ما يقرّ به المتكلم. ثم تبعه "البنية الحملية" (أيُّها أزكى طعامًا...)، وهي جملة ذات محمول غير فعلي؛ لأنَّها تأتلف من محمول غير فعلي (أزكى) الدّال على الصفة المرفوعة بصيغة التفضيل، ومن حدّ موضوع وهو اسم الاستفهام (أيُّ) مضافا إلى حد لاحق (ضمير متّصل/ ها) العائد القبلي، ثم الحد الموضوع المتقبل (طعاما)، ليكون بذلك اسم استفهام حاملا للوظيفة التداولية الداخلية المحور، على تقدير: (هذا أزكى...)، وإليك تفصيل ذلك:

- حد لاحق قبله← (فلينظر).
- حد موضوع← اسم الاستفهام (أيُّ)+ مضاف إليه (ها).
- محمول غير فعلي← (أزكى)= مقولة الصفة، ربط موقعي (اسم استفهام/أيُّ).
- حد موضوع← (طعامًا...).
- إنَّ السُلّمية لهذه البنية الحملية جاءت على النحو الآتي: ((حد لاح.قب (بنية.حمل. فع) (فلينظر) + (أيُّ)<حد.موض/اسم.استف/ محو> + حد لاحق بع (ها) م.إليه+ (أزكى) محم.غ.فع <اس.ظ/ص>+ حد لاح. بع (طعاما) <تمييز>...)).

وأدّت البنية التركيبية الاستفهامية السابقة بتعاضدها معان ووظائف عدّة، ومنها أنَّ اسم التفضيل الذي تبع (أيّ) يعني وجود أنواع كثيرة فيكون الموصول لتحديد النوع الأزكى، وهو الأطيب، وليس الأكثر كما هو معنى

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

الزكاة[1]. بل كان الأرجح في استعماله تحديد اختيار واحد فقط مما يتضمنه. ولمّا كان الأرجح في معنى الزكاة هو الطيبة، فإنَّ لفظ (أيّ) يعكس حرص الفتية على الاحتياط في طلب الحلال من الطعام، ثم ترتب على ذلك طلب الرزق تلطفا (فليأتكم...)؛ للدلالةَ على تحقق ذلك التحديد كونه يشمل الأهل (أهل المدينة). أمَّا الدعوة إلى التلطف (وليتلطف)؛ فللمحاذرة آثرا ضمير الغيبة بالرغم من حضور المخاطَب، وكأنَّه تفاعل مع الحدث وتصور الرسول ﷺ قد وصل المدينة، ليزيد المعنى المعجمي شحنة بانتقاله من الحضور إلى الغياب. ثم تبع ذلك البنية الحملية الفعلية المنفية (ولا يشعرن بكم أحدا)، جاءت تتجلى فيها حالة الخوف التي كانوا عليها في صيغة التوكيد بنون التوكيد الثقيلة، والإطلاق المفهوم من لفظ (أحدا) ليشمل الكل ولزيادة دلالة الحيطة والحذر. وبهذه الحالة الانفعالية التي كان عليها الفتية من حرص وتأكيد، فالأمر في (ابعثوا) ليس على وجه الحقيقة لكنَّه التماس لتساوي الآمر والمأمور منزلة، وأنَّ التلطف هو الحذر وحسن المعاملة. أمَّا (أحدا) فتعني كلَّ الناس ممن كان على عهدهم.

الخاتمة والنتائج

بعد بسط مضامين هذا البحث حول بناء الجملة في أساليب الاستفهام الواردة في سورة الكهف في القرآن الكريم، وتحليل البنى التركيبية الحملية ذات المحمولات الفعلية وغير الفعلية في ضوء سياق الفضاء التركيبي والوظيفي والدلالي لها، نَخلصُ إلى جملة من النتائج أهمها:

- كانت تراكيب الاستفهام في سورة الكهف تحديدا في الجمل ذات المحمول الفعلي أكثر من الجمل ذات المحمول غير الفعلي، ولعلّ ذلك يعود إلى طبيعة القوة الإنجازية المستلزمة التي تتشكَّلُ كثيرا بفعل مقصديات الدلالة للبنيات التركيبيّة المكوّنة لتركيب الاستفهام بين تأكيد وتقرير، أو نفي، أو إنكار، وغيرها من المعاني التي تستلزمها الجملة في مقام مُعيَن. وهذا قد ظهر في البنى الحملية غير الفعلية إلا أنه أكثر في البنى الفعلية.

- إنَّ التراكيب الاستفهامية ذات البنى الحملية الفعلية الدالّة على الماضي أكثر بقليل من البنى الحملية الدّالة على الحاضر؛ وذلك لأن الاستفهام من منظور النحو الوظيفي يؤدي وظيفة تركيبية ودلالية وتداولية. وأنَّ الوظيفة التداولية التي تُستند إلى الاستفهام غالبا ما تكون إلى المكوّن الحامل للمعلومة الأكثر بروزاً.

- تعدُّ الوظائف التداولية في البنى التركيبية المُصدَّرة بأسماء الاستفهام تُبيّن مقاصد المعنى بالتعاضد معا، إذْ تشكَّل لدى المتلقي أنَّ المُنفذ قد وظَّف القوة الإنجازية الحرفية التي تحملُ اللفظ على المعنى الظاهر، والقوة الإنجازية المستلزمة التي تتطلب المعنى الجديد في سياق معين.

---

[1] يُنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت774هـــ): **تفسير القرآن العظيم**. ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1990م، ج4/ ص141.

- كانـت الوظـائف التداوليـة الداخليـة للتراكيـب الاسـتفهامية أكثـر مـن الخارجيـة فـي البنـى الحمليـة ذات المحمـول الفعلـي، أمّـا ذات المحمـول الوصـفي والاسـمي فجـاءتْ وظائفهـا التداوليـة الخارجيـة أكثـر. ولعـلّ ذلـك بسـبب طبيعـة المكونـات الداخلـة فـي تركيـب تلـك الجمـل ودلالاتهـا السـياقيّة التـي تـأتي ضـمن إطـار السـياق. وترتَّـب علـى مجـال عمـل الاسـتفهام فـي البنـى ذات المحمـولات الفعليـة تسـلط الاستفهام على المكوّن الحمليّ غالبا، مع أنَّ التسلط على الحمل ذاته كان موجودا.

- مثّلـت البنيـة التركيبيـة الاسـتفهامية بالتعاضـد مـع المكونـات السـياقية الأخـرى الإسـراع فـي النفـي أو التأكيد أو التقرير وغيره مما يقرّ به المخاطِب في إيصال الرسالة.

- أدّى الفضـاء الـدلاليّ المكـون للقـوة الإنجازيـة المسـتلزمة فـي بنـاء الوظيفـة التداوليـة نمطـا تعالقيـا بـين الأنمـاط الخطابيـة، بوسـاطة الـربط الحجـاجي بـين الحـدود السـابقة واللاحقـة لتركيـب الاسـتفهام، حيـثُ إنَّ الـرابط الحجـاجي وفـق مقاربـة الفعـل الخطـابي جـاء لإنكـار الجحـود، وإثبـات الإيمـان بـالله تعالى وتوحيده.

- اقتـران النفـي بالاسـتفهام بـيّن معنـى التقريـر والتأكيـد علـى فعـل القـول الـذي تبـدأ بـه معظـم التراكيـب التـي فيهـا أسـلوب الحجـاج، وهـذا مـا أشـارتْ إليـه العناصـر التركيبيـة ودلالاتهـا فـي السـياق، حيـثُ المعنـى الجديـد الـذي يسـتلزمه السـياق. كـان يهـدفُ بمكوناتـه كافـة لإقـرار المخاطَـب مـا انتفـى بـه الاستفهام للإيجاب.

- التركيـب الاسـتفهاميّ يُمثّـلُ الحجـاج بالاستشـهاد، لأنَّ الغايـة منـه توضـيح القاعـدة وتأكّيـدها، حيـث أنهـا تقـدَّم دلـيلا سـاطعا. إذْ كانـت المحمـولات وحـدودها تؤكـد علـى وجـود الله ووحدانيتـه، وأنَّـه هـو صـاحب الحجـة القاطعـة، وهـذه الحجـة تثبـت ألوهيتـه وربانيتـه ووجـوده دون سـواه خالقـا لهـذا الكـون، ومعينا للمحتاج والمتوكل، فهو المرسل في هذا الخطاب.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- الأسـترابادي، محمـد بـن الحسـن (ت686هـ): **شـرح الرضـي لكافيـة ابـن الحاجـب**، تحقيـق يوسـف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، 1974م، ج4/ ص83.
- باشـا، أحمـد بـن سـليمان بـن كمـال: **أسـرار النحـو**، تحقيـق أحمـد حامـد، منشـورات دار الفكـر، عمان، 1991م.
- بـوكليش، وداد: **الاسـتفهام فـي سـورة الكهـف، دراسـة أسـلوبية**، مجلـة روافـد المعرفـة، جامعـة الزيتونة، كلية الآداب والعلوم، ترهونة، العدد (3)، 2016م.
- تغـزاوي، يوسـف: **الوظـائف التداوليـة واسـتراتيجيات التواصـل اللغـوي فـي نظريـة النحـو الـوظيفي.** ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2014.

- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت471هـ): **دلائل الإعجاز**، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004م.
- حسان، تمام، **الخلاصة النحوية**، ط1، عالم الكتب للنشر والتوزيع، والطباعة، 2000.
- حماسة، محمد، **بناء الجملة العربية**، د ط، دار الغريب القاهرة للنشر والتوزيع.
- الحموز، عبد الفتاح، **نحو اللغة العربية الوظيفي في مقاربة أحمد المتوكل**، ط1، دار الجرير، عمان للنشر والتوزيع، الأردن، 2012.
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت745هـ): **تفسير البحر المحيط**. ط1، مطابع النصر الحديث، الرياض، (د.ت).
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت538هـ): **تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.
- زيغد، سعيدة علي: **تحليل الخطاب الحواري في نظرية النحو الوظيفي**. ط1، الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2014م.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت1376ه): **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تح: عبد الرحمن بن معلا، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م.
- صحراوي، مسعود، **التداولية عند العلماء العرب**، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2005.
- ابن عاشور، محمد الفاضل بن محمد الطاهر (ت1390ه): **تفسير التحرير والتنوير**. دار التونسية للنشر، تونس، 1984.
- الفيروز آبادي: القاموس المحيط. مؤسسة الحلبي، سوريا.
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل أبو الفداء (ت774ه): **تفسير القرآن العظيم**. ط1، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، 1998م.
- المتوكل، أحمد:
  - **التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات**، ط1، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب، 2005.
  - **قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص**، د.ط، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط.
  - **اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)**، ط1، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1989.
  - **المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي**، ط1، دار الأمان، الرباط، 2006.
  - **المنهج الوظيفي في البحث اللساني**، ط1، دار الأمان، الرباط، 2006.
  - **الوظائف التداولية في اللغة العربية**، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الرباط، 1985.

- **الوظيفة بين الكلية والنمطية**، ط1، 2003، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2003.

- المخزومي، مهدي، **في النحو العربي نقد وتوجيه**، ط2، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2005.
- المليطان، حسين، **نظرية النحو الوظيفي: الأسس والنماذج والمفاهيم**، ط1، دار الأمان، الرباط، 2014.
- هارون، عبد السلام محمد، **الأساليب الإنشائية في النحو العربي**، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979.

- **مُلحق الرموز والمصطلحات المستخدمة في التحليلات وبناء السُلَّميّات:**

الرمز الوظيفي والمصطلح
بؤ=بؤرة // مح=محور
ف=فعل// فا=فاعل// مفع=مفعول
مح.فع= محمول فعلي// مح.غ.فع= محمول غير فعلي
تا= تام// غ.تا= غير تام
جا= جار// مج= مجرور// أ=أداة
مست= مستتر// مت= متصل// ض= ضمير
مج= مجرد// ن= نكرة// ع= معرفة
اس=اسم// است= استفهام
منف= منفذ// متق= متقبل
مح= محمول// مØ= موقع محور أو بؤرة// بؤ جد= بؤرة جديدة// بؤ مقا= بؤرة مقابلة
حد.مو= حد موضوع// حد.لاح =حد لاحق
قب= قبلي// بع=بعد.
ظر=ظرف// مب=مبتدأ// خ=خبر
<...> إشارة أقواس تحتوي عنصر.